ميلعلا وه

# برقلاو عقاولا ىلإ لوصولل ديحولا قيرطلا وه دّبعتلا

# ّيهلالإا

دّبعتلا نود نمو ةحلاصلا ةينلا نود نم ملعلا راطخأ

ةسماخلا ةسلجلا - ةّينيوكتلا ةيلاولا

اهاقلأ ةرضاحم
ّيناربهطلا ّيناسحلا نسحم دّمحم دّيسلا ّجاحلا الله ةيآ
هّرسب الله سّدق

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم
بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيم
وصلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا ونَبِيِّنا وحَبيبِ قُلوبِنا
وطَبيبِ نُفوسِنا أبي القاسِمِ المُصطَفَى مُحَمَّدٍ
وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ المَعصومِينَ المُكَرَّمِينَ
واللَّعنُ عَلَى أعدائِهِم أجمَعِينَ
مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَومِ الدِّين

## غيرة الله تعالى تمنع غيره من الوصول إلى حريمه

قال الله الحكيم:

﴿إذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.[1]

إنّ هذه الأيام هي أيّام عزاء سيّد الشهداء عليه السلام. ولرفع الشدائد عن شيعة أمير المؤمنين، والتعجيل في فرج إمام الزمان، صلّوا على محمد وآل محمد.

آلت تتيجةُ المواضيع السابقة إلى المسألة التالية: هي أنّ الملائكة كان لديهم في بواطنهم اعتقادٌ تامٌّ بالمصلحة التامّة لأوامر الله تعالى ونواهيه، وكذلك الحال بالنسبة لحضرة الشيطان؛ فمن هذه الناحية، لم يكن هناك فرقٌ بينه وبين الملائكة.

وعندما قلتُ «حضرة» الشيطان، فذلك لأنّه ـ على عكس ما كنّا نظنّ ـ يتمتّع بمقامٍ عالٍ جدًّا؛ وذلك لأنّ الله تعالى له مقام العزّة والغيرة، وهو المانع من وصول غيره إليه. وإذا كان من المقرّر أن يصل كلّ أحدٍ إلى ذلك المقام، لَخَرَجَ الله من مقامه كلّه؛ لأنّ ذلك المقام هو مقام العزّة، والعزّة مختصّة بالله تعالى، ولا يستطيع أيّ أحدٍ الوصول إليه. ذلك المقام هو مقام الغيرة، ولا يمكن لأيّ شخصٍ عابثٍ أن يصل إليه. يقول المرحوم الشيخ الرئيس:

«جَلَّ جَنابُ الحَقِّ عن شَرِكَةٍ لِكُلِّ واردٍ»[2]؟

إنّ مقام عزّة الله تعالى أسمى من أن تتمكّن كلّ وافدٍ من دخوله.

---

1. سورة ص، الآيتان ٧١-٧٢.

2. الإشارات والتنبيهات، ص ١٤٩.

## إبليس حاجبٌ ميمنع الأغيار من دخول حرم الله تعالى

من هذا، جعل الله تعالى لمقامه حارسًا وحاجبًا، ليمنع أيّ شخصٍ فيه أدنى رائحةٍ من الغيريّة أو الأنانيّة من أن يأتي إلى هناك. لهذا، فإنّ حضرة الشيطان وإبليس، ليس فقط حاجبًا وموانعًا لي ولكلّ الحالات، حتى نحن لا نحتاج إلى حاجب، فنحن موجودون هناك في المراتب الدانية! ـ بل إنّه لا يسمح لعظماء الأولياء والأبدال، الذين لم يصلوا إلى مقام المخلَصين، بالوصول إلى هناك. إذن، لا بدّ أن يكون الشيطان قويًّا جدًّا! فما هذه القوّة التي أعطاها الله له ليكون حاجبًا وموانعًا للإنسان مهما كانت قوّته ومهما كان مقامه؟! فهو يتغلّب على الجميع، حتى الإنسان نفسه الذي يُسمّى الإنسان الكامل! أي: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾[1] إلّا ذلك الموضع الذي يُظهِر هذا الإنسان، عجزه؛ هناك، تغلب رحمة الله تعالى على غضبه وقَهره، ولا يستطيع الشيطان أن يفعل شيئًا.

## خطأ بعض المفسّرين في بيان علّة اعتراض الملائكة وجوابه

لقد اعترض الملائكة على الله تعالى بسبب خلقه آدم؛ لأنّهم كانوا مطّلعين على المستقبل.

﴿قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[2]

قالت الملائكة: يا الله! أنت تخلق شيئًا أساسه مفسدون وسفّاكون للدماء، في حين أنّنا موجودات نسبّح ونقدّس لك بالحمد والشكر؟! فقال تعالى: «أنا أعلم ما لا تعلمون!»

يقول بعض العلماء:

إنّ الملائكة لا يعلمون الغيب ولا المستقبل. وبما أنّ هناك أفرادًا كانوا يعيشون على هذه الأرض قبل خلق آدم، وكانوا من أهل سفك الدماء والفساد وما شابه ذلك، فقد شبّه الملائكة هذا الجيل بالجيل السابق وقالوا: «إنّ هؤلاء الأفراد السابقين على الكرة الأرضية كانوا على هذا النحو، فماذا استفدتَ وماذا حصّلتَ من نتائجَ من المخلوقات السابقة، لتأتي وتخلق مثلهم مرّة أخرى؟!».[3]

المسألة هذه أنّ وديعة الله تعالى في الإنسان هي أسمى من الملائكة؛ لذلك لا تستطيع الملائكة أن تفهم؛ فهي غير مادّية؛ لذا لا تدرك

---

1. ٥٣ سورة يوسف، الآية.
2. ٣٠ سورة البقرة، الآية.
3. ٢٤ ص ١، ج ١، ص ١٣٢؛ الأصل في تفسير القرآن، ج ١، ص ١، تفسير القرآن المبين.

.عالم المجرّدات ـ وهو عالم الثوابت ـ كلّ شيء موجود بشكل ثابت، لا حاجة للمرور الزمان

فمن دخل عالم التجرّد لا يحتاج إلى مرور الزمان لكي تتّضح له الأمور، بل سيكون كلّ

شيء واضحٌ بالنسبة إليه. فالزمان يُطرح بالنسبة لي ولك، حيث تتّضح لنا سبق وما سيتأخّر

المسائل المرور. وأمّا الأفراد الذين يصلون إلى عالم الملكوت، فإنّ الزمان لا يُطرح هناك،

بل إنّ كلّ ما كان في الماضي وما سيكون في المستقبل، كلّه موجود أمام أعينهم بشكلٍ محدّ

.وبانٍ على ذلك، فإنّ الملائكة مطّلعون على ما قبل وما بعد

وعلى هذا الأساس، كان اعتراضهم على الله تعالى هو: «يا الله! نحن نُسبّحك ونُقدّسك. وبما أنّ لديك عبادٌ بهذه الطيبة، وكلّ هذا العدد من الملائكة، حيث لديك ملائكة مقرّبون، ولديك ملائكةٌ في حالة ركوعٍ دائم أو سجودٍ دائم أو قيام، فما الذي ينقصك لتخلق خلقًا آخر سيبدأ بالفساد وسفك الدماء وما شابه ذلك؟! فلا حاجة لك بعدُ إلى ذلك».

## اعتراض الملائكة على الله بسبب الاعتراض على الأسرار الإلهية العالية

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا﴾ :تعالى الله مهاجأفة؛ بمعنى: «لا يحقّ لكم التطفّل في هذا الأمر!». أمّا التعبير المؤدّب والأكثر لباقةً فهو ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا﴾! فالملائكة لم يكونوا مطّلعين؛ ولو كانوا مطّلعين، لما اعترضوا على الله. إنّ كلّ هذه الاعتراضات نابعةٌ من الجهل. ولأنّنا جاهلون، نسأل دومًا: «لماذا هكذا؟! ولماذا ذاك؟!». لو كنّا مطّلعين، لما اعترضنا! كما أنّهم لا يستطيعون الإفصاح عن الأسرار، لذا لا خيار لديهم سوى أن يقولوا: «لا يحقّ لك التطفّل»، أو «ستفهم ذلك لاحقًا!» أو «لنترك الآن هذا الموضوع!». ولكنّ التعبير العامّي هو «لا يحقّ لك التطفّل»! أي أنّه لا يوجد لديك الاستيعاب ولا الاستعداد لفهم ذلك! ولا يُمكننا أيضًا إخبارك بذلك؛ فلو أخبرناك لأنكرت! لذا، لا تطلبوا منّي أن أقول كلّ كلمة؛ تذكّروا ذلك!

## النتيجة المستخلصة من هذه المقدمة والوصول إلى المقام الكامل

ومن هنا، اعترض الملائكة وقالوا: «يا الله! نحن نقدّسك ونسبّحك؛ فإذا أردتَ أن يركع الجميع لك، أو يسجد الجميع لك، أو ينام الجميع، أو يقف الجميع، فنحن موجودون! فما الحاجة إلى عبادٍ آخرين؟!». ولكنّ حساب الله تعالى منفصلٌ عنّا، وهو يقول:

همه‌ی كلاچو نى ناجن ارگزو** همه‌ی كاپانو ازپاك مربا ي

من كندم خلق تا سه‌دو ى كنم** بلكه تا بر نيايد از دو جن[1]

:يقول

[1] ١٤٩. ص، المثنوي المعنوي (مع خيانى) الكتاب الثانى.

(طاشلنا) هاقفّخو (لكسلا) حورلا لقثو عن** ةساجنلاو رهطلا نم لكلا عنزهو نحن

.أعيمج

ًلاضفم همأو دابلا على لعجو لأبلا ** ةعفنم همصحأ ي كلخلا قلخ ام ُتلا

يهي، بل هانعم في عفر ةقلِخلا تلا ي تقبا نهاك، ليست من أجل أن نحصل على فائدة. إنّ هذه الخليقة كلّها قائمةٌ على أساس أن يصل بعض الخلق إلى الكمال. إنّ الوجود البسيط الذي لديه القابليّة لأن يستعدّ، بواسطة خلق الله تعالى الذي يتنزّل من مقامه المطلق إلى مقام التعيّنات، أنواع الاستعدادات حتّى يتلقّى الفيض الأقدس على قدر استعداده الخاصّ به؛ لهذا، فإنّ اعتراض الملائكة ليس على كلّ واحدٍ من [المخلوقات] على حدة، بل هو اعتراض على النوع في مجموعه.

## ةيافر دوجو ةيفلخ لوقب ةكئلملا ضارتعا

أمّا نحن، فمن اعتراض الملائكة نفهم مسألةً واحدة، وهي أنّه: لدينا في الروايات، ونُقِلت روايةٌ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سُئل: «هل كان هناك أفرادٌ على الأرض قبل خلق آدم أم لا؟» فقال الإمام: «بلى، كانوا موجودين». فسُئِلَ: «هل كان هناك أفراد قبل هؤلاء أيضًا؟». فقال الإمام: «نعم، كانوا»[1]. هكذا.

هي، الخلق في الإنسان شرف المخلوقات، على تدلّ التي الآيات من واحدةً أنّ إلى: هانه الحديث الله، يا ولو نقول: هذه الآيات التي تتحدّث عن اعتراض الملائكة. فعندما نعترض الملائكة هذا الاعتراض، فكأنّنا نحن نسأله: لماذا خلقتَ خليفةً في الأرض، وأنت تعلم أنّ هذا الخليفة سيسفك الدماء؟ فهذا الاعتراض، إذا كان هناك، فإنّما هو على الخليفة، وليس على الخلق. فالله تعالى خلق خليفةً في الأرض، وهذا الخليفة سيكون له جنودٌ كثيرون، ومن جملتهم الملائكة. فالله تعالى يقول لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: أنا أعلم أنّ هذا الخليفة سيكون له جنودٌ كثيرون، ومن جملتهم الملائكة. فالاعتراض لا يكون على الخليفة؛ لأنّ الملائكة كانوا سيعلمون بهذا السرّ قبل خلقتنا، وهذا الخَلق الجديد سيكون مثلهم، تمامًا مثلهم. إذن، في هذه الحالة، لم يكن باستطاعتهم أن يعترضوا. فلو كان الله قد خلق مثلنا من قبل، لكان هؤلاء الملائكة قد اطّلعوا على ذلك الخَلق وعرفوا هذه الخصائص، وعرفوا السرّ الذي وضعه الله في وجود الإنسان ولم يضعه في بقيّة الأشياء. في هذه الحالة، لما اعترضوا، بل لَقالوا: «هذا أيضًا مثل ذاك». فلأنّه لم يكن هناك موجودٌ مثل الإنسان من قبل، فقد ظنّوا أنّ آدم أيضًا مثل البقيّة، ولأنّهم لم يروا هذه الخصائص في خلق من المخلوقات السابقة، فقد ظنّوه مُضاهيًا للبقيّة، واعترضوا. وإلاّ، لم يكونوا ليعترضوا.

---

[1] الصفلي، محمد طوبه باكتاب (تحقيق)؛ تفسير القرآن الكريم، الرواندي، ص ٣٥ ـ ٤٠؛ خير الناسخ والمنسوخ، الطبرسي، ج ١، ص ٤٨. راجع: الأبيذلاء على المسلمين، الثالث.

## مهيف أدوجوم مدآ رسن اك ول مدآ لبق دارفلأا ةكئلاملا دوجس ةرورض

من هنا، يُمكننا أن نستفيد أنّه: لو كان هناك إنسانٌ قبلنا في مقامنا ومكانتنا، ولو كانت تلك الخاصّية التي وضعها الله تعالى في وجود الإنسان قد وُضِعَت في وجود أمثال الإنسان في المخلوقات السابقة، لوجب على الملائكة أن يسجدوا لهم قبل أن يسجدوا لآدم! وذلك لأنّه طبقًا للقاعدة الشائعة بين الطلاّب، فإنّه يُقال: «حُكمُ الأمثالِ فيما يجوزُ وفيما لا يجوزُ واحِدٌ»[1]. تافصلاو ةيبلسلا تافصلا يف أضيأ نيلثامتم نانوكيس ،نيلثامتم نائيشلا ناك اذإف

هلوطو أهبجاحو أهنيعو أمدآ ةماشو هم دلآ دوجسلاب ةكئلاملل الله رمأ بسبن اكل هف.ةيتوبثلا

:لاقى لعلا ةّنأ ىلإ عجريك لذ نّأ مأ ،هدسجص ئاصخو أهترشبن ولو أراتمأ ةثلاثغلبيي ذلا

﴿نَوُمَلعَتَ لَا امُكَلعَأ يَنّإِ﴾؟ فكان ذلك بسبب جهلهم، وبسبب سرٍّ كان الملائكة جاهلين به. ولو كان ذلك السرّ موجودًا في الأجيال التي سبقت آدم، لوجب على الملائكة أن يسجدوا لهم قبل أن يسجدوا لآدم؛ فلماذا يجب عليهم السجود لآدم؟! لأنّ هذه الخاصّية موجودةٌ هناك أيضًا بنفس الكيفيّة! فالله تعالى لا يقوم بأفعالٍ شكليّة وخالية من الحكمة والمصلحة مثلنا، فيقول: «لأنّني أريد ذلك، اسجدوا لآدم!»[2].

## يني وكتلا ملاعلا عم ةلماكلا ةيعيرشتلا رماولأا ق باطت

لهذا، فإنّ الأفراد الذين يقولون: «هناك فاصلةٌ بين الخَلق والأمر» هم مخطئون تمامًا؛ فلا يوجد أيّ فاصلٍ أصلاً بين الخَلق والأمر! فالموضوع المطروح اليوم هو: «ما المشكلة في أن يكون التكوين على أساسٍ ونهجٍ منفصل، وأن تكون أوامر الله ونواهيه وشرعه على أساسٍ منفصل، فلا تكون هناك علاقةٌ بينهما؟!»؛ وهو نفس الكلام الذي يقوله الأشاعرة! يقولون: «لا بأس أن يأمر اللهُ الإنسانَ بالمستحيل؛ فالله قادرٌ مطلق، فهو يأمر، وحتّى عندما لا نستطيع أن نُنفّذ، فإنه يعاقبنا ويعذّبنا! فهو جبّار ويُمكنه فعل كلّ شيء، سواءً رضينا أم لم نرض!»[3].

## نيوكتلا عم يرشتلا ق باطت موزلم دعى نم ير دعلّ دُّ

:ءاملعلا ءلاؤهل وقي

«عالم التكوين (عالم الخَلق) له حساباته الخاصّة به: فمن ناحية، خلق الله الإنسان على أساس شاكلة معيّنة، ووضع في نفسه مجموعة من الخصائص. ومن ناحية أخرى، تنتاب الله

---

1. ٣٢٣، ص ٢، ج ،يزارلا رخفلا ،نيدلا لوصأ يف نيعبرلأا

2 قفأ :عجار ،ثاحبلأا هذهب ةقلعتملا تاذ لئاسملاو ةكئلاملا ىلع نانسلإا ةيفرشأو ةكئلاملا ىلع علاّطلاا نم ديزملا حرش ؛٣١٣ ـ ٣٠٥ ص ،يزارلا رخفلا ،ةيلعلا بلاطملا ؛١١١ ص ،كروفرنا ،يرعشلأا نسحلا يبأ خيشلا تلاقم ٢٩٤. ص ،يناقلابلا ،ديهمتلا ؛٢٩٦ ص ،٤ ج ،يناز اتفتلا ،دصاقملا

3 ؛١٠١ ـ ٩٨ ص ،يرعشلأا ،عدبلاو غيزلا لهأ ىلع ّدرلا يف عململا ؛١٣٨ ص ،يرعشلأا ،ةنابلإا نع ةنايدلا لوصأ

تعالى رغبةٌ، فيشرّعُ الأوامر والنواهي؛ إذ تُراودُه رغبةٌ، [فيقول]: «يا هذا، صلِّ الصبحَ ركعتين، لا ثلاث ركعات؛ إنّها إرادتي!» لماذا؟! «هذا ليس شأنك! الأمرُ كذلك وحسب!».

لاف.اها أقيرطنوكتو ةقيقحلا عمقباطتتنأ بجيرةعيرشدكنّأ يهاذهةلأسملا نكلو

هعضو يذلا قيرطلا نوكي ،نيحي فنّ يوكتهنمقّقحتينأو ،أدوجو ىلاعتلا اللهنوكيأ نكميه ،لاثملا ليبسىلع:هّنأ يهمهملاكنمصلَختستُ يتلا ةجيتنلاو .تلكاشلا أفلاخنيوكتلا اذهل

نوكيو ،رمخلا برشيفنانسلإلا ةمات ةحلصم ـ نيوكتلا رظنةهجونم ـ كاذهنوكتدقهبقّلعتينكلو ،اهعمجأبهتلكاشعمٌةحلصموٌةديفمٌةقلاعهيدلنوكتو ،هحورو هدسجلأديفم .ءلاؤهه!لوقيذلا ملاكلا وهاذهفهكرتتنأانيلعبّجوتيف ،ىلاعتلا اللهنمٌيهذ

يقولون: «إنّ للوجود حساباته الخاصّة به. والقيمة المترتّبة على الأحكام مبنيّةٌ على الاعتبارات؛ فالله يأمر اليوم، وينهى غدًا. بمعنى أنّ نهيًا قد يكون في وقتٍ ما مجرّد إرضاء للمولى (لا لأنّ فيه مصلحة)، وفي وقتٍ آخر يكون سببًا لغضبه، ولا تكون له أيّ علاقة بوجود ذلك الشخص. وعلى العكس: من المحتمل أن تكون الصلاة مضرّةً للإنسان من جميع الجهات؛ أيّ أنّها في صميم الواقع وعالم التكوين مضرّةٌ للنفس والروح وخلايا الإنسان، ولكنّ الله تعالى رغب في إيجابها على الإنسان». هذا خطأٌ عظيمٌ جدًّا! يجب أن تتوافق الشريعة مع الحقيقة؛ فالشريعة هي طريق الحقيقة. إنّ من يصنع شيئًا، يُبيّن أيضًا طريقة استخدامه، فيقول: «عزيزي، اذهب من هذا الطريق، لا تذهب من ذاك؛ قم بهذا العمل، لا تقم بذاك؛ وإلاّ فإنّه سيتلف!».

## دارفلأا ةلكاشوهيهاونو اللهرماوأنيبةقيثولا ةلصلا

بجيي تلا تايكولسلاول لاعفلأا عونبٌةقيثوٌةقلاعهيدلدوجولا ملاعنّإف ،كلذىلعءانب هرماوأنيبٌةقيثوٌةقلاعكاذهو ،وحنلا اذهىلعانقلخي ذلاوهىلاعتلا اللهنّإ .هيفمدختسُتنأ

ريغيفةيهلإلا يهاونلاو رماولأا هذهدحأعَضِوُ اذإف.انتَقلِخوا ندوجو ةقيرطنيبو هيهاونو

!دحلا اذهىلإ سُاسحوٌقيقد رملأافا ؛عضوملا كلذيفانقيرطو انتلكاشبرّضيسهّنإف ،هّلحم

قالت الملائكة: «لماذا خلقتَ آدم؟ إنّ آدم هذا مثل الأفراد السابقين!» فأجاب الله تعالى: «إنّ آدم الذي خلقتُه يتمتّع بخاصّيةٍ لم تكن موجودةً في الأفراد الآخرين؛ ولو كانت موجودةً في الأفراد الآخرين، لَوجب عليكم أن تسجدوا لهم أيضًا!». وبما أنّه لم يكن لدى الملائكة أيّ خلفيّةٍ سابقة عن السجود وخصائص آدم، فإنّنا نفهم أنّ الإنسان أشرف المخلوقات. هذه مسألة.

## ةكئلاملاوسيلبإنيبهباشتلا هجوأ

### مدآ رّسبلهجلا :ًلاوأ

مل ولـ ؟هيلعنيعلّطمةكئلاملا نا كامىلعاًعلّطمسيلبإنا كلهيهرخلأا ةلأسملا

ةقلِخنعةكئلاملاهملعيامرادقمفا!اًعلّطمنا كاهّنكلو ؛جرحهيلعنا كامل ،اًعلّطمسيلبإنكي

الإنسان، يعلمه إبليس أيضاً. الملائكة جاهلون بالمسألة العليا، وهو مقام "لي مع الله"! وبسبب هذا الجهل، فإنّهم يعترضون على الله تعالى. إبليس أيضاً جاهلٌ بنفس المقام؛ لذا، لا يوجد من هذه الناحية أيّ اختلافٍ بين الملائكة وإبليس.

## ثانياً: وجوب طاعة الأوامر الإلهيّة

والخلاف ينشأ هنا، حيث إنّ الملائكة، من ناحية، وألهمّهم وصلوا إلى الفعليّة التامّة ضمن حدود وجودهم، فإنّهم يعلمون أنّ أوامر الله تعالى واجبة الطاعة؛ لأنّه تعالى لا يأمر أبداً بخلاف المصلحة. فالله تعالى حقٌّ مطلق، وأمره أيضاً حقٌّ مطلق، وهو أمرٌ مولويٌّ يجب إطاعته والقيام به، سواءً علمتُ أم لم أعلم. هذا ما يعلمه الملائكة؛ وإبليس أيضاً يعلم هذا الأمر تماماً دون زيادة أو نقصان، حيث يعلم بدوره أنّ أوامر الله يجب أن تُطاع؛ ولهذا، فقد عبده تعالى آلاف السنين العبوديّة (لا السنين المادّيّة) بدلاً إلى جنب مع الملائكة[1]؛ عبادةً كانت مبنيّةً على التشريع وأمر الله تعالى ومقتضى المصلحة في العبادة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[2]؛ فكان بدلاً إلى جنب مع الملائكة، ثمّ ارتكب العصيان والفسق.

إبليس والملائكة يشتركان هنا من جهة أنّ كليهما يعلم أنّ أوامر الله مُطاعة؛ وكلاهما جاهلٌ أيضاً من الناحية التالية: ما هو السرّ الذي وضعه الله في آدم، والذي لم يكن موجوداً في المخلوقات السابقة، والذي من أجله أمر تعالى الملائكة بالسجود؟ في هذه النقطة، كلاهما جاهلٌ ولا يعلم؛ فلو كانا يعلمان، لسجدا؛ تماماً كما كانا يسجدان لله تعالى حتى الآن. إنّ السجود الذي كان الملائكة والشيطان يؤدّونه لله كان قائماً على أساس الحقيّة المطلقة التي كانوا يشعرون بها في وجوده وذاته تعالى؛ ولهذا السبب كانوا يسجدون. يبقى أنّ الكلام عن هذا الموضوع يحتاج إلى تفصيلٍ طويلٍ جدّاً.

## ثالثاً: إبليس والملائكة يرون أنفسهم أعلى من آدم

هذا، بما أنّهم كانوا يعلمون ذلك المقام، فقد كانوا يسجدون لله تعالى؛ لكن لأنّهم كانوا جاهلين بالإنسان، فإنّ ذلك الجهل أدّى بهم إلى مقارنة أنفسهم به، فرأوا أنفسهم أعلى منه؛ كلاهما، الملائكة وإبليس، قارنا نفسيهما بالخلق الجديد ورأيا أنّهما أعلى منه.

---

1. لمزيد من الاطّلاع على هذا المقام العرفانيّ، راجع: معرفة الله، ج ١، ص ٩٦ ـ ١٠٥.

2. نهج البلاغة (صبحي الصالح)، ص ٢٨٧: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَسْقَطَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَحْبَطَ عَمَلَهُ وَجَعَلَهُ مَثَلاً لِلْمُتَكَبِّرِينَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ....»

## الفرق الوحيد بين الملائكة وإبليس هو مراعاة جانب العبوديّة والأدب

ينشأ الخلاف من هنا، فالملائكة، ولأنّهم كانوا يعلمون بالمصلحة، وكان جانب العبوديّة فيهم تامًّا، قالوا: «سواء كنّا أعلى أم لا، فإنّنا سنقوم بالسجود!» فأطاعوا، وأظهروا الأدب؛ وبالتالي، صاروا من المفلحين.

أمّا حضرة إبليس، فقد قارن نفسه بالإنسان. لقد كان جاهلاً بمقام "الله مع الله"؛ حيث يقول النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله: **لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**[1] أي: «عندما أتقرّب إلى الله من عالم النفس، أجد حالاتٍ معه من وجهة نظر السير الصعودي، وأصل إلى مكان لا يستطيع أيّ مَلَكٍ مقرّبٍ أن يشعر به ـ ولو كان جبرائيل ـ ولا أيّ نبيٍّ مُرسَلٍ». بمعنى أنّني أصل إلى مقام بين الصفين! هناك، لا يوجد أيّ نبيٍّ مُرسَلٍ ولا ملَكٍ مقرّبٍ! هناك، "الله مع الله"! هذا هو العبد والله. ولأنّ الملائكة وإبليس كانوا جاهلين بهذا المقام، فقد اعترضوا؛ لكنّ الملائكة أظهرت الأدب، في حين لم يظهر إبليس هذا الأدب: فقد بدأ بالمقارنة؛ هنا، غلبه الهوى، وعصى أمر الله.. هذا هو الفارق! هنا، عصى إبليس على الرغم من أنّه كان يعلم أنّ الله تعالى أمره بالسجود.

## رفض العبوديّة لله هو سبب فشل الإنسان في الوصول إلى الحقّ

من هنا، نذكر أنّ جميع المسائل والمشاكل التي نُواجهها ناجمةٌ عن أنّنا لم نفهم معنى التعبّد كما يجب. فأحيانًا، يذهب الإنسان في طلب أمرٍ حقّ، ويكون قصده من الحصول على هذا الأمر الحقّ هو أن يشعر به ـ بخصائصه ـ بالوجدان، ثمّ يعمل به. إنّ هؤلاء الأفراد لن يفشلوا في الحصول على الحقائق؛ لأنّ قدرتهم واستعدادهم الفكري والذهني لا أدنى قدرة واستعداد الحقّ المطلق. بل إنّ الإنسان لا يُمكنه إيصال هذه الاستعدادات إلى الفعليّة إلّا عن طريق السلوك والطريق العملي.

لهذا، لو جعلنا أساس عملنا في البداية قائمًا على أن نفهم الواقع على حقيقته [أوّلًا]، كي نعمل بعد ذلك، فلن نصل أبدًا إلى هذا الواقع، وسنكون دومًا عُرضةً للقلق والاضطراب والشكّ، بحيث لو عشنا خمسمائة سنة أو ستمائة سنة أو خمسة آلاف سنة، لما وصلنا إلى الواقع أبدًا؛ لأنّ فكرنا قد بُني على هذا الأساس.

---

[1]. بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٦٠؛ ج ٧٩، ص ٢٣٤، مع اختلاف يسير.

## هيلإ بـرّقتلا طرشو هو الله رماولأ ّماتلا لوبقلا

إنّ شرط القرب من الله هو التعبّد له والانقياد له وتحصيل رضاه تعالى، حيث يتقرّب الإنسان إلى الله عندما يكون جانب التعبّد فيه قويًّا، فيقول: «أنا أعمل لأنّك أنت الذي أمرتَني!» وليس: «أنا أعمل لأنّني أفهم ذلك!»؛ إذ سيقول الله: «لن تفهم أبدًا! متى ستفهم؟! متى ستفهم حكمة أن تكون صلاة الصبح ركعتين؟! متى ستفهم حكمة أن تكون صلاة الظهر أربع ركعات؟!». هذا أمرٌ عجيبٌ جدًّا! هذه هي المسائل الدنيا المتعلّقة بي وبك، وإلاّ فإنّ هذا الكلام لا مكان له في موضع آخر.

إنّ المشكلة التي نقع فيها ونُبتلى بها هي أنّنا اخترنا طريقين لمسارنا العمليّ وفصلنا بينهما: الطريق الأوّل، هو طريق التعبّديات والعباديّات؛ والطريق الثاني، هو طريق المسائل الاجتماعيّة والنفسانيّة والسلوكيّة. فإذا قيل لنا: «صلاة الصبح ركعتان»، فإنّنا لا نعترض ولا نتكلّم؛ ولكن، إذا قيل لنا: «افعل هذا العمل»، فإنّنا نسأل: «لماذا؟». ما الفرق في ذلك؟! على سبيل المثال، إذا قيل لنا: «صلِّ على النبيّ وآله خمسمائة مرّة في اليوم»، فإنّنا لا نعترض، ونعتبر هذا الأمر أمرًا حقيقيًّا؛ ولكن إذا قيل لنا: «غدًا، اذهب وقم بالعمل الفلانيّ»، فإنّنا نعترض ونقول: «سيّدي، لماذا علينا أن نفعل هذا؟!» إذا قيل لنا: «قم في الليل وصلِّ صلاة الليل»، فإنّنا نطيع لأنّها أمرٌ صادر من النبيّ، أو على الأقلّ لا نعترض؛ ولكن إذا قيل لنا: «اجعل مسارك العمليّ على هذا النحو؛ واجعل فكرك وخطّتك في هذا المسير على هذا الأساس؛ واجعل مسارك العمليّ والسلوكيّ في هذا الوقت على هذا النحو؛ واجعل مواجهتك للمسائل على هذه الكيفيّة»، فإنّنا نعترض في أنفسنا ولا نقوم بذلك! وذلك لأنّنا نعتبر هذه الأمور منفصلةً عن التعبّديات والمسائل الواقعيّة والحقيقيّة. فنحن نعتبرها مسائلَ عادية، ونعتبر أنفسنا أعلى وأجلّ من شخصٍ عظيم ومرشدٍ. ولكن لأنّ أشباه الأذكار والأوراد والعباديّات والتعبّديات لا قيمة عمليّة لها في نظرنا، ولأنّنا نعتبرها أمورًا تافهةً، فإنّنا لا نفكّر في هذه المسائل؛ في حين أنّني أُقسم بالله، إنّ المشكلة والعقدة والابتلاء في هذه الأذكار والأوراد والخصائص التي وُضِعَت لكلّ فردٍ على حدة، هي أكبر بكثيرٍ من المسائل الاجتماعيّة!

## ةيكولسلا رماولأل هحرط لجأ نم دارفلأا تلااحب ذاتسلأا ةطاحإ ةرورض

إنّ الإحاطة والاطّلاع على جوانب وخصائص الضمائر والنفوس التي كان [الأعاظم] يمتلكونها في هذا المقام ويتحدّثون عنها، كلّها لها دورٌ في هذه المسائل، وهي تشكّل الركن الأساسيّ لتربية الفرد. إنّ مسألة العمل والسير إلى الله ليست مسألةً عاديّةً ومُملاةً مُسبقًا، وليست ـ كما يُقال ـ مسألةً مُعدّةً، لكي يقوم بها أيّ أحد، ويُقال له: «خذ هذه الوصفة وانطلق!». لا أبدًا! بل إنّ جميع الخصائص النفسيّة الموجودة الآن وسابقًا وفي السنوات القادمة، وحتّى في المقام الذي يجب أن يصل فيه الإنسان إلى الفعليّة، يجب أن تُراعى من قِبَل الشخص الذي يأمر، والذي عليه أن يأخذ في الاعتبار الحالات التي كانت موجودةً في ذلك الإنسان منذ ولادته، وحتى الحالات التي يصل إليها في النهاية، ثمّ يقول له: «افعل هذا العمل».

إنّنا بعيدون جدًّا عن هذا المقام! أين المسائل الاجتماعيّة من هذا؟! فنجد أيّ شخصٍ قد سار خطوتين واطّلع على شيءٍ ما، صار خبيرًا بالمسائل الاجتماعيّة! فنراه يقول: «هذه

ليست شيئًا، هذه ليست مسألةً! فالأشخاص العاديّون يعلمون ما سيحدث بعد ذلك، ويقولون: "لا تفعل هذا العمل، وافعل ذاك". فهذه ليست شيئًا!».

وبما أنّ الأمر يبدو لنا تافهًا إلى هذا الحدّ، فإنّنا نعتبر الأذكار والأوراد أمورًا تافهةً، ونتدخّل في المسائل الاجتماعيّة والسلوك العمليّ ونبدأ بالاعتراض: «يا سيّدي، ماذا عن هنا؟! ماذا عن هناك؟! لقد أخطأ الأستاذ هنا، ولقد أحسن في هذا الموضع! كان من الأفضل لو كان الأمر هكذا، وذاك كان من الأفضل لو كان بتلك الطريقة!».

يا عزيزي، هذه ليست شيئًا! أنا أعرف شخصًا ليس من السلّاك، ولا من السائرين في طريق العرفان، ولم يفعل شيئًا، فقط انكشفت له بعض الأمور؛ فأخبرني بنفسه عن كلّ المسائل؛ لقد أخبرني عن كلّ ما حدث في الماضي وحتى الآن، وما سيحدث في المستقبل، كلّه أخبرني عنه! ولكنّي لا أخبر أحدًا! وهو ليس بسالكٍ، ولا قد سار في طريق العرفان، لا شيء، لا شيء... بل هو شخصٌ عاديٌّ. هذه ليست شيئًا يا عزيزي! لقد أخبر بجميع الخصائص، ماذا يحدث الآن، وماذا سيحدث لاحقًا. وحتّى الآن، كلّ ما قاله كان صحيحًا، إذن لا بدّ أن يكون ما سيحدث لاحقًا صحيحًا أيضًا.

## حصر طريق السلوك في التعبّد والطاعة للأوامر

هنا، يجب علينا أن نجعل طريقنا طريقًا واحدًا؛ فما الطريق إلاّ التعبّد والطاعة. وهنا، لا يقبل الأمر أيّ جدالٍ أو استجواب؛ ومن يريد الجدال فليذهب إلى بيت خالته! فهذه الأحاديث لا مكان لها هنا!

إبليس، على الرغم من أنّه كان يمتلك العلم، إلا أنّه لم يستخدمه. كان يعلم أنّ الأوامر الإلهيّة قائمةٌ على أساس المصلحة، وأنّ هناك حقيقةً هنا، ولكنّ الهوى غلبه على الأمر [الإلهيّ]؛ فقد استعان بالمواهب الخفيّة التي وضعها الله في وجوده، وضرب بأمره تعالى عرض الحائط؛ تمرّد ولم يسجد. فقال له تعالى: «حسنًا! بما أنّك تمرّدت، فلا بدّ لي من القضاء عليك؛ فنحن نقضي على جميع المتمرّدين!». فقال: «لا! يا الله، أمهلني!».

فرأى الله تعالى أنّه قد خلق شيئًا عجيبًا! في رأيي، لم يجد أحدًا أفضل من الشيطان ليجعله حاجبًا وحارسًا لحضرته! حتّى جبرائيل لا يستطيع مقاومته! الشيطان قويٌّ جدًّا ومرتفعٌ إلى درجة أنّه لو وصل شخصٌ إلى مقام جبرائيل، فإنّ الشيطان سيأتي ويقف في طريقه، ويقول له: «لن أدعك ترتقي إلى الأعلى؟!».

إذا تذكرون، فقد قلت لكم قبل بضعة أيّام:[1] إنّ العمل الذي يقوم به الشيطان ليس أن يبتلي الناس بالزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والغيبة، والافتراء؛ فهذه أعمالٌ عاديّةٌ يقوم بها الناس بأنفسهم! عمل الشيطان ومسؤوليّته هي أن يقف عند مقام جبرائيل، ويمنع أيّ شخصٍ يريد

---

[1] **مباني الإسلام**، سلسلة محاضرات الولاية التكوينية، المحاضرة السادسة.

الصعود إلى الأعلى، ويقول: «إلى أين؟! لن أسمح لأيّ أحدٍ أن يتجاوز هذا المقام!». هذه هي المسألة!

## إحاطة الشيطان بالجوانب النفسيّة للإنسان

من هو الذي يُبرّ ويُزيّن المسائل والجوانب النفسيّة التي يتظهر الإنسان في المقامات؟ إنّه الشيطان! أمّا حبّ المال وحبّ المقام، فهذه المراتب الدنيا؛ بل إنّ الحالات التي يتظهر لنا في ذلك الموضع (أدنى أنانيّة، أدنى محاولة الحفاظ على المقام، وأدنى حُشاشة[1] متبقّية في وجودنا) فإنّ الشيطان هو من يظهرها!

إذن، يتّضح أنّ الشيطان يصعد مع الإنسان؛ فالإنسان يصعد خطوةً واحدة، وهو أيضًا يقول: «أنا أيضًا أتيت!»، ثمّ نصعد أعلى، وهو أيضًا يقول: «أنا أيضًا أتيت!»، فنقول له باستمرار: «عزيزي، دعني وشأني!». فيقول: «لا! أينما كنتَ، أنا معك!». نستمرّ في الصعود، وهو أيضًا يأتي؛ نصل إلى مقام الملائكة الأدنى ونتجاوزهم، وهو أيضًا يأتي؛ حتى نصل إلى جبرائيل، وهو أيضًا يأتي! فما هذا المقام الذي وصل إليه بحيث تسنّى له التواجد في كلّ هذه المراحل! لكن، عندما نريد أن نتجاوز هذا المقام، يعلو صراخه ونحيبه: «يا للعار! لقد أفلتَ مني واحدٌ!».

## قصّة لقاء الشيطان مع إبراهيم عليه السلام

لقد قرأتُ سابقًا روايةً عن إبراهيم عليه السلام، وتفاصيلها لا تخطر ببالي، ولكن مضمونها هو هذا:

كان نبيّ اللهِ إبراهيم ذات مرّةٍ يتعبّد على قمة جبل على ما يبدو؛ فجاء الشيطان وبدأ بالحديث معه. فقال له إبراهيم عليه السلام: «أنت تُضلّ كلّ هذا العدد من الخلائق والناس، فهل رأيتَ منّي شيئًا حتى الآن يُسبّب لي الابتعاد عن الله أو حالةً من الغفلة؟» فقال: «بما أنّك سألتني بنفسك، فسأقول لك: أتتذكّر الأوقات التي كانت زوجتك تُعدّ لك فيها حساءً لذيذًا وطيّبًا؟[2] فكانت تعدّ لك حساءً باللبن أو الزبادي طيّبًا. عندما يكون ساخنًا، تشربه، فيُعجبك قليلاً! في ذلك الوقت، تنتابك قليلاً حالةٌ من الغفلة عن الله؛ وهذا هو الوقت الذي آتي فيه إليك!». فقال نبيّ الله إبراهيم: «لقد نصحتَني، ولكنّني تبتُ؛ لن آكل بعد الآن من الحساء الذي تعدّه زوجتي حتى لا تنتابني هذه الحالة من الغفلة!» فقال الشيطان: «وأنا أيضًا تبتُ عن نصح أيّ أحدٍ بعد الآن!» (لم نتّفق على أن نفترق عن بعضنا البعض! لقد أتينا لنكون رفقاء!

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ١٢.

الحُشاشة: بقيّة النَّفْس.

[2] لا يخفى أنّ هذا ليس مثلما يقوله البعض: «أُعدّ لك حساءً طيّبًا» ويقصدون من ذلك التهديد بالضرب وأمثال ذلك! كلّا!

أنت قلتَ شيئًا فقلتُ أنا أيضًا شيئًا آخر؛ والآن بما أنّك تبتَ، فإنّني أيضًا تبتُ عن نصح أيّ أحدٍ![1]

## سأيلا داجيلإ هُيعسو هلآو هيلع الله ىّلص مركلأا ّيبنلا عم نطاشيلا راوح هّصق فيه

:اهيلإ قراشلإا دّيجلا نمو ،هّلأسملا هذه نلآا ُتركّذتو

في يومٍ من الأيّام، تجسّد الشيطان للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقال له: «يا رسول الله! أريد أن أخبرك بأمر: أتدري ما هو مقامي ومكانتي؟! لقد كنتُ شخصًا سجدتُ وعبدتُ الله لأربعة آلاف سنة (أو كما في روايةٍ أخرى أربعمائة ألف سنة)! أحيانًا كانت مسبحتي تسقط من يدي، فكان ثمانون ألف مَلَكٍ يتحرّكون وينزلون ويهرعون ليأخذوا تلك المسبحة (مسبحة الشاه مقصود)، ويضعوها في يدي مرّة أخرى! أتدري لماذا وصلتُ إلى هذا الحال الآن؟! لأنّني عصيتُ الله مرّةً واحدة!»[2]

:لوقي نأ هّكانه هيلع الله نوضري يناديمهلا يراصنلأا خيشلا موحرملا نع لئسُف

إنّ هذه النصيحة التي قدّمها الشيطان للنبيّ لم تكن نصيحةً؛ بل كان يريد أن يوجد اليأس في النبيّ! (إنّه موجودٌ لئيم، ذهب حتّى إلى النبيّ!) لكي يقول له: «لا تتعلّق كثيرًا بهذه الأعمال والمقامات التي أعطاكَ إيّاها الله؛ فقد ترى فجأةً أنّه يُسقِطُكَ كما أسقطني!». إنّه يريد أن يوجد اليأس! لأنّ عمل الشيطان هو الشيطنة؛ فلا يمكن أن يصدر خيرٌ أو صلاحٌ منه![3]

## سانلا للاضإ يف نطاشيلا تابث

انيلع انّنإف ،مهلاكلا اذه نع انلذاختو مهلاكأ ّيإ انلقا اذإ ،ةديدعتٍارّازم مكلُتركذ امك ،اذهلو :لوقي ذلا وهف !اهلاقا يتلا ةلمكلا هذه انلع ٌتباث نطاشيلا نّأ ملعن نأ ﴿مُهَّنِيوغُلأ كَتِزَّعِفَ﴾ نلآا نم ،اذلو !ملاكلا اذه نع اًدبأ عجارتي نلو ،اًعيمج مهّلضُيس هّنأ الله ةّزعب مسقيو 4﴿نَينِيعَمجَأ مهلف ،ءاوغلإا اذه مهفيكي ٌأمو !مهّلضُيس هّنأ مسقأ دقو هّنأ اوملعاف ،هومتهجاو امنيأ ،اًدعاصف هذه ثحبنسف ،قيفوتلا الله انطاعأ نإف :[سلجملا اذه] مّيلألا هذه تهتنا دقو ،ةّصاخٌ ةقيرطٍ الله ءاشن إن قحلا ٍتقو يف ةّلأسملا.

---

1. ريسيفلاتخا عم ،٣٤٠ و ٣٣٩ ص ،يّسوطلا خيشلا ،يلاملأا

2. ريسيفلاتخا عم ،٦٤٧ و ٦٤٦ ص ،رهاوجلا ةنيزخ

3. ٣١٦. ص ،٢ ج ،{يسراقإ راونأ عطلم:عجار

4. ٨٢. ةيلآا ،ص ةروس

## قرّيخ ةّينذ نود نم ملعلا هذه ةكلِهلما لاتملاك لاطخلأا

.نطاشيلل ًادفيم ملعلا اذه نكي لم ،لحلا ىلع

**«نُيّدلااو ُنيثُّدلا ُديبَعس ُآنلها»**: لاقم هيلع هللا ىلص دهاشلا دّيسلا راشو ءاروي موعي فُتلقد[1]

**«نوناّيدلا َّقَلءلابلاو اوصّحُم اذإَف مهُشياعم َّرَتمَ ام ُهَنوطوحي مهتَنِسلأ ىلَع ٌقّعَ»**[2] نإ ّنلا سانلا

ةّيملاسلإا ةمّلعتلما نم أجل نيدلا؛ أي أنّهم يتلّقون العلم من عمامهم في ديدشتسا ،نيدلا ديدشتلل ةمألاو ملاسلإا لهأ ضرعتي تلا ةبّسبتلا نيذلا داروا ضرابتلا او ءازهتسلا ،مهتاهجو ىلع ّنإ .نيدلا

ّنإ بل ،ملعلا نم اوكرت ام ىلع ّنأ ؛نيلهاجلا نم اوكي لم ،نآلا ىتح ةيملاسلإا

،ءاملعلا اوناك مهعيمج ،حيحصلا قيرطلا نم اولخد دقف!ملعلا ةّيمهأ اوركذ ،ةّمرم ةّيجوّجو ًادّجأ ًاقيقد نوكي نأ ىلع ةّيجبلا تلا قرطلا نم

!يعافلأا مسّمرم نم ًاّدجُر يطخ مهنطابّ نكلو ،سحتسم

إنّ ملعلا وحده لا يجدي نفعًا لإنسان، بل يجب على الإنسان أن تكون لديه إرادة الخير والصلاح من هذا العلم كي تؤتي ثماره.

## ّيناكيابلكلا نيدلا لماجل ةّيسلا هللا ةيآ ٍثحبل زمي ٍملعِ ةّيناهنلا ةّيسلا

ّيناكيابلكلا نيدلا لماجل ةّيسلا هللا ةيآ ٍثحبل زمي ٍملعِ ةّيناهنلا ةّيسلا

ذاتمرّة، ذكر الوالد [العلاّمة الطهراني] حكاية عن السيّد جمال الدين الكلبايكاني رحمه الله عليه قال فيها:

عندما كنتُ في النجف، كان لديّ زميل بحثٍ، وكان شخصًا ذكيًّا جدًّا، وفطِنًا، وعالمًا، ومُحصِّلاً، وفاضلاً، وموجّهًا، ثمّ أصبح مجتهدًا ومن الأعاظم؛ ثمّ جاء وودّعني وقال: «أنا ذاهبٌ إلى موطني في شاهرود». ومنذ ذلك الوقت، لم أعد أسمع عنه أيّ شيء. مرّ وقتٌ طويلٌ على هذه القصّة، وذات مرّة، كنتُ جالسًا في الطابق العلويّ من منزلي في جوّ الصيف الحارّ، فسمعتُ الباب يُطرق. جاء طفلي وقال: «هناك رجلٌ حليق اللحية، يرتدي قبّعةً قديمةً وعصا، ويريد أن يتحدّث معك!». فقلتُ له: «قل له أن يصعد لأراه». فدخل هذا الشخص إلى نفس الغرفة التي كنتُ فيها. فجأةً، نظرتُ فرأيتُ شخصًا غريبًا جدًّا! رجلٌ حليق اللحية، يرتدي ربطة عنق وقبّعة، ويمسك بعصا في يده، تقدّم وقال: «ألا تعرفني؟!»، فقلتُ: «كلاّ، لا أعرفك!». لم أتعرّف عليه! فقال: «أنا فلان، زميلك في البحث!»، فقلتُ له: "قبّح الله وجهك! ما هذه التمثيليّة التي تقوم بها؟!».

---

1. ١٠ ةرضاحم ،ةّينيوكتلا ةيلاولا تارضاحم ةلسلس ،**ملاسلإا يناب**.

2. ٢٧ ص ،نيسحلا نيعلا ؛٢٤٥ ص ،لوقعلا فحت

فلم يتأثّر، وكأنّ شيئًا لم يحدث! جاء وجلس، و «بشنويد اي دوستان اين داستان!»[1]

فقال: «يا سيّد، عندما ذهبتُ من النجف إلى شاهرود، وأصبحتُ عالمها الوحيد، بدأ الجميع بالتعظيم والتبجيل لي، وارتفعت مكانتي، وسمعتُ الهتافات: «لقد جاء حضرة الشيخ، لقد جاء حضرة الشيخ!»، وذبحوا لي الأبقار والأغنام، وزيّنوا المدينة، وصاحوا: «لقد جاء مرجعنا، لقد جاء ملاذنا، لقد جاء حجّة الإسلام!».

ىلإ دور هاش مكاح يناعد ،مّيلأا نم ٍمويي فـ .تقولا ضعب هّصقلا هذه ىلع ضمـ

!؟(نُيِعَلأاُّ ذَلتوَ سُفنَلأاَ ِهيِهتَشتَ امَ( اهيف تَعضِوُ ًةدئام تُيأر ،كانه ىلإ تُبهذ امدنع .هلزنمـ

تُيأر ،كلذ دعب .لكلأا بتُأدبف ،كانه ًادوجوم ناكا هريغو ةمعطلأا نم ءيشّلكـ ،راصتخاب

!ةحلصمـ هيف دجوت لاو ملاسلإاب ٌّرضمـ هيف يئاقبّنلأ س لجملا ردا غأ نأ ّيرورضلا نم ّهنأ

.تُجرخو تُمقف

في الأسبوع التالي، دعاني مرّة أخرى بمناسبةٍ ما، وقال: «يا شيخ، لدينا مجلسٌ بخصوص أوضاع البلاد. وعلى أيّ حال، أنت مجتهدٌ وحجّة الإسلام في المدينة؛ لا بدّ أن تأتي». فذهبتُ، ورأيتُ أنّهم وضعوا الخمر وأشياء أخرى على مائدة الطعام! فغضبتُ وتألّمتُ جدًّا، لأنّه قد أحضر الخمر على المائدة في وجودي، وأنا الذي جئتُ من النجف، وأنا حجّة الإسلام، وبهذه العمامة! فخرجتُ منزعجًا وذهبتُ إلى المنزل.

بعد بضعة أيّام، أرسل لي حضرة السلطان هديّةً من الدنانير الذهبيّة. (من تلك الدنانير التي كلّ واحدةٍ منها كالسهم في عين الإنسان؛ فالأوّل سهم، والثاني سهمٌ آخر، فتأتي هذه الدنانير الواحدة تلو الأخرى وتُصيب الإنسان). فأحضرها وقال: «يا شيخ، هذه من السلطان. أنت أعلم بالفقراء، والمحتاجين، والأيتام، وذوي الحاجة والسائلين؛ فقسّمها عليهم». فأخذتُها، وقلتُ: «حسنًا، سأضعها في مصارفها الخاصّة».

اعتذرنا وما إلى ذلك... ودعاني مرّة أخرى؛ فذهبتُ ورأيتُ أنّه لا يوجد خمرٌ في المجلس. كان المجلس منظّمًا ومحترمًا جدًّا؛ ولكنّني في نهاية المجلس رأيتُ أنّهم يتشاورون ويتهامسون، ويريدون أن يقولوا شيئًا، ولكنّهم يخجلون. فجاء أحدهم إلى حضرة الحاكم وقال له شيئًا، فقال الحاكم: «عليك أن تستأذن الشيخ! لا يُمكنني أن أُبرز رأيي هنا!». فقلتُ: «ما الأمر؟»، فقال: «يا شيخ، إنّهم يريدون أن يُبلّلوا شفاههم، وهم يخجلون منك، ويستحيون. لقد طلبوا الإذن، فلا تتدخّل في الأمر هذه المرّة، ولا تقل شيئًا، وأطرق برأسك، واسمح لهم أن يفعلوا ما يريدون بأنفسهم! لا توجد مشكلة!».

---

[1] وهاذه(٦٠ص ،لوّألا باتكلا {يذيزيرذآ يّيونعملا يّيونثملا} يّيمورلا نيدلا لجلا ذاتلاو ملّيعشر يّيملوّلأا عرصملا تمامه:

**نآتسامل احدقتقيقحدوخ** نانتسادنيانيانتسادوسيا ديونشبـ**

[يّيلاحلا انعضوو انلاحدقتقيقحاهتاذبا هّنإف ،ةيئاقدصأ يأو عمسلا وقب]

[2] ٧١ةيلآا ،فرخزلا ةروس.

فلم أقل شيئًا وأطرقتُ برأسي، (والسكوت علامة الرضا!)، فجاءوا وأقاموا مأدبة شرب الخمر، وبدأ الجميع بالشرب. في هذا الوقت، قامت امرأةٌ من بين الحاضرين، وأحضرتْ إناءً من الخمر أمامي، وقالت: «يا شيخ، لا يُمكننا ذلك من دونك!». (فرفع رأسه ورأى أنّها حسناء! ورأى أنّه لا يمكنه أن يرفض طلبها، وباختصار، لا يمكن للإنسان أن يُزعج قلب مؤمنٍ أو مؤمنة!!!). باختصار، بعد اللتيا والتي، شربتُ الكأس دفعةً واحدةً.

وبعد أوّل جرعةٍ، شعرتُ فجأةً أنّ نور الإيمان قد خرج منّي وذهب! ورأيتُ أنّني لم أعد ذلك الشخص السابق! لقد انتهى الأمر! فخلعتُ العمامة، (ومن الواضح إلى أين وصل الأمر)، والآن أنا مقرّبٌ جدًّا من السلطان!»[1]

نم لضفأ صخشأ دجتو نأ نكمي مهل .هعفني مل لجرلا اذه دل ىكاذلا مل علا نّإ

هذه ةضبقلا يف ناسنلإا ُهدوجو ُنطاشيلا عضي فيك !لصحمو ،لضاف ٌدهتجم ؟اذه

؛ىرخأ قرطبٍ ةيقبلا ىلإ نوتأي مهّنكلو ،ةيرطقلا هذه نوكيسلم اذه ىلإ اوءاج دقل!؟ةيرطقلا

،ةأجفو ،أضيأ هيامنإ نم ناسنلإا نوبلسيو نوتأي !اًرمخ لأا نوكي نأ يرورضلا نم سيلف

ةيرطقلا هذه نم ناسنلإا اذه ىري نأ نّكاسلا نم ريثكلا نع اًرئاف فلتخت اهحرطي تلا لئاسملا لبق

ةيقبلا مثل هنم ميامنلإا حور نوذخأي ،ةيشئافأ !ةنسرين عشأ .نوتأي ىلإ اذه

**ةَّلَع لاَبلِاب اوصِّحُم اذإَف**، ىرخأ قرطٍ ىلإ نوتأي ،ةيرطقلا اذه نم صخشلا

**!نونايدلا** فو يف هذه ةضيقلا، يا لها نم لئاسم تدحت !يا لها نم ابتلاءاتٍ تصلح

!تدحوت

## ةصقٌ انحرافٍ عالِمٍ عظيمٍ في همدان في زمن رضا شاه

:لاقني يموحرملا نكا

في همدان نفسها، رأيتُ أنّه عندما خلعوا العمامات في زمن رضا شاه، قال أعظم عالِمٍ في همدان، والذي كان شيخًا محترمًا ومُبجّلاً، عندما رأى أنّه لا يتمتّع بمكانةٍ في أعين الناس: «إذن، لماذا درسنا كلّ هذه الدروس؟! ولماذا تحمّلنا كلّ هذه الصعوبات والآلام؟! إذا كان الأمر على هذا النحو، وأنّ الناس لن يهتمّوا بنا، فإنّنا سنترك كلّ هذه الدروس ونذهب للعمل من أجل مصلحة هؤلاء الناس؛ وإذا لم يكن هذا ممكنًا بهذا اللباس، فبطريقةٍ أخرى! على أيّ حال، يجب أن نسهّل أمور الناس!».

فخلع العمامة، وأعطوه منصب القضاء ودخل في جهاز الحكم. ولقد أطلقوا عليه اسم "جاموس العلماء"!». لقد وصل هذا الرجل الفاسق الفاجر ـ بعد أن خلع لباسه ـ إلى درجة أنّ لُصوص همدان كانوا يستحيون منه! فأولئك الذين كانوا يقومون بكلّ عملٍ سيّء، كانوا يقولون: «لقد سبقنا هذا الرجل!».

---

[1] .شماهلا ،٤١٥ ص ،٢ ج ،{يسراقم} **راونأ عطم**:عجار

أي: انظر أين يكون الإنسان، وإلى أين يمكنه أن يصل! والنقطة الأدقّ هي: قد يصل الإنسان إلى هذا الحدّ دون أن يخلع لباسه [أي لباس العلماء]! فقد يقوم بأعمالٍ لا يقوم بها أيّ لئيم أو أيّ شخصٍ وضيع الله فيه أدنى ضمير. أردتُ أن أطرح المزيد من المسائل، ولكنّ حالي لا يقتضي ذلك، والموضوع قد اتّضح على أيّ حال. فهذا ما يتعلّق بالمسائل التي تحدّثنا عنها خلال الأيّام القليلة الماضية.

لم يكن لديّ أيّ نيّةٍ لطرح المواضيع التي تحدّثنا عنها في هذه الأيّام، بل كان قصدي من طرح هذه الآية الشريفة هو فقط بيان السير النزوليّ للإنسان، ومواجهته للمسائل التي يُبتلى بها في هذا السير، وكذلك بيان سيره الصعوديّ والمسائل التي تحدث؛ فأردتُ أن أتحدّث ضمن هذا النطاق، ولكنّ هذه الأمور تحدّث من تلقاء نفسها، ولم يكن ذلك بيدي.

الحمد لله تعالى، تمّ طرح مجموعة من المسائل، ولكن، لا يمكن قول كلّ كلامٍ أو موضوع! في بعض الأحيان، قد يتسبّب قول طرح بعض المسائل بالمشاكل للإنسان والآخرين. لقد اكتفينا بهذا المقدار، ونترك المزيد إلى وقتٍ لاحق إن شاء الله تعالى؛ لأنّنا مأمورون بأن نضع المسائل في مكانها الصحيح وموضعها المناسب، حتى لا تحدث مشكلةً ولا يكون طرحها ثقيلاً. «لِكُلِّ مقامٍ مقالٌ» فيجب أن يُؤخذ في الاعتبار الكلام المناسب لكلّ موقف.

## نهي الإمام الصادق المعلّى بن خُنيس عن إفشاء الأسرار

تتذكّر هذه الرواية: كان المعلّى بن خنيس أحد أصحاب سرّ الإمام الصادق، وكان يذكر للمعلّى أشياء، وكان هو ينقلها هنا وهناك، فتصل إلى مسامع الحكّام والسلاطين. كانوا يرون أنّ المواضيع التي تُطرَح في مجالس المعلّى تضرّ بجهازهم وتتعارض مع سياستهم، فبدأوا بإيذائه وتعذيبه. في يومٍ من الأيّام، قال الإمام الصادق عليه السلام للمعلّى: «بكلامك هذا، سيأتي يومٌ وتُصلَب فيه! أخذوا المعلّى المسكين، وبسبب الكلام الذي قاله ـ وكان معارضًا للحكم ـ قاموا بصلبه[1] ؛ لأنّه [من وجهة نظر الحكّام والسلاطين] على أيّ حال، يجب أن تبقى ديناهم [محفوظة]؛ وبعد ذلك، فليكن ما يكون، وليُمِتْ من يموت!

---

1: الأغاني، ج ٢، ص ٤٥٢.

قال:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيكُ ** فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا.

لهذا، لا يمكن الإفصاح عن كلّ شيء. فمن بين الحقائق التي يبيّنها الأئمة عليهم السلام، كان الأئمة أنفسهم لديهم كلامٌ لكلّ واحدٍ [إمام يناسب مقامه]: فكلّ واحدٍ من أصحابهم كان في مكانةٍ، والمواضيع التي كان يقولها الإمام الصادق أو الإمام الباقر لأبي بصير أو محمد بن مسلم على سبيل المثال، لم يكونوا يصرّحون بها ـ بالتأكيد ـ لأفراد الذين كانوا في مرتبةٍ أدنى.

## رثاء السيدة الزهراء عليها السلام

هذا هو اليوم الأخير من هذا المجلس، ولنذكر فيه السيّدة الزهراء عليها السلام. لن أدخل في مقدّمات وحوادث كانت عليها مسقفة بني ساعدة، وما هي التمهيدات التي وُضِعَت لها من قبل، وكيف جاء أفرادٌ مهرورون وذوو رأيٍ وأذكياء، ونفّذوا ذلك الأمر بشكلٍ دقيق وموصوف.[1]

كانت لدى السيدة الزهراء عليها السلام خاصيّةٌ عجيبة، والأمر أسمى من أن نفكّر في حياتها واستشهادها عليها السلام. كانت السيدة الزهراء سرّ النبيّ، وكان وجودها لطيفاً وحساساً ومتّصلاً بنفس النبيّ لدرجة أنّه لو لم يوقعوا عليها تلك المصائب بعد وفاة النبيّ الأكرم، لكان فقدانه صلّى الله عليه وآله وسلّم بحدّ ذاته كافياً لإهلاكها.

إنّ حالات السيدة الزهراء وعلاقتها بالنبيّ غريبةٌ جداً! طوال حياة السيدة فاطمة الزهراء مع أمير المؤمنين عليه السلام، كان كلّ اهتمامها منصبّاً على النبيّ، وهذا أمرٌ لا يمكن قوله في كلّ مكان. كانت كلّ حياة السيدة الزهراء هي حياة النبيّ الأكرم، ولم يكن من الممكن أن يمرّ يومٌ عليها دون أن تراه مرّتين؛ وإذا لم تستطع أن تراه، كان هو بنفسه يأتي؛ لأنّه كان يعلم أنّه يجب أن يرى فاطمة وأن تراه فاطمة.[2]

لهذا، في أحداث وفاة النبيّ الأكرم، عندما كانت السيدة الزهراء تبكي، أخبرها صلّى الله عليه وآله وسلّم بلقائها به بعد ذلك، فتبسّمت عليها السلام، وفرحت، وتوقّفت عن البكاء.[3]

---

[1] راجع: السقيفة وفدك، ص ٣٥ ـ ٩٤؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١ ـ ٣٣؛ تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٣ ـ ٢١١؛ أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٧٩ ـ ٥٩١؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٣ ـ ١٢٦؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٢؛ البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠.

[2] راجع: الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٣٤؛ الأمالي، الشيخ المفيد، ص ٣١٨؛ الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ١٣٦ و٢٣٣. و٢٣٢ و٢٥١ و٤٠٠؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج ٣، ص

[3] الإرشاد، ج ١، ص ١٨٦ و١٨٧.

كانهنكيمل .اهكلاهلإ اًيفاك هدحو يّبنلا نادقفناك ،اهيلع ايالبلا هذه اوعقوُي مل ول ،اًّقح

ٌةجاحكانهنكتمل ؛اهنينج اوطقسُيو ،اهلزنم اوقرحيو ،اهيلع بابلا اوطغضيو اوتأيلٌ ةجاح

كلذل[1]. لقد جاءت إلى جانب الباب دفاعًا عن زوجها (أمير المؤمنين عليه السلام).

قال عمر: «عندما سمعتُ صوت نحيب فاطمة، شعرتُ بحالةٍ من الرقّة؛ ولكنّني في هذه اللحظة، تذكّرتُ الأحقاد التي كانت لديّ من زوجها عليّ، وتذكّرتُ ما أصابنا من زوجها وأبيها، فضغطتُ على الباب».[2]

رارسلأاَ ةنازخاهرَدصلَس*** رامسملا رَبَخ يردأ ُتسلو

اهيلَعىتأ امَلُكِبيٰتأ*** اهيبَنجيفِ فيّسلا لعَنُزكوو

ُءافخِهبِ امقِدصُدوهُش*** ُءامّدلاو ُرادجلاو ُبابلاو

[3]اهيلَعىرَجامُظع قرَعيّ*** اهيَيدَثنمِ مّدلا عوبُنمو

[4]!؟دوبراويدو ردن آ راشفراوازسىك*** دوبرارسا هنيجنگ تفرعم زكىا هنيس

[لوقي: صدرٌ غدا من جُنْبَيْن العفارِ نِكْزا لإِسْرار، هل يستحقُّ ضغطًا بين الباب

والجدار؟!]

«إكتنباب موقلا ءلاؤه هلعفيام رظنا!؟كتبيبحبلعفيإ اذكهأ!هاتبأ اي!الله لوسر اي :تدان

[5]؛يئاشحأ يف امطَقسدقف ينيذُخ ةّضِف اي :ةضف تدانو يا فضّة خذيني! أقسم بالله لقد أسقطوا

جنيني!».

[6].﴾نَوبُلَقنيِ بلَقنمُ يّأَ﴿ِدمحملآ ﴾اومُلَظ نَيذّلا مُلَعيَسَو﴿

!الله اي راهطلأا هِتيبِلهأو ٍدمحمقّحِبِ ،كوجرَنو كيلع مُسقُنو ،كوعدَنو مهّللا كمسِاب

---

1 ،ةماملإا لئلاد ؛٢٠٨و ٤٠٧و ١٧٩ ص ،ىربكلا ةيادهلا ؛١٣ ص ،٥ ج ،ديرفلا دقعلا ؛٣٠ ص ،ةسايّسلاو ةماملإا :عجار ج ،لادتعلاا نازيم ؛١٥ ص ،٦ ج ،تايفولاب يفاولا ؛٧١ ص ،١ ج ،لحّنلاو للملا ؛٨٣ ص ،١ ج ،جاجتحلاا ؛١٣٤ ص ١، ص ١٣٩.

2.ةماملإا لئلاد نعًلاقن ،٢٩٤و ٢٩٣ ص ،٣٠ ج ،راونلأا راحب

3.٤٣ ص ،يّنابمكلا ،ةيسدقلا راونلأا :نم ةّيرعش تايبأ

4.٤٢ ص ،يّنابمكلا ناويد

5.ريسيف للاتخا عم ،ةماملإا لئلاد نعًلاقن ،٢٩٤ ص ،٣٠ ج ،راونلأا راحب

6.٢٢٧ ةيلآا ،ءارعشلا ةروس

اللهمّ اغفر لنا وارحمنا، ولا تُمِتْنا حتى تعفو عنّا، وامحُ بلطفك عفو كجميع جرائم أعمالنا، وثبّتنا واجعلنا ثابتين على الصراط المستقيم لأئمّة الهداة عليهم السلام. اللهمّ لا تحرمنا من زيارتهم في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة، انصر الإسلام والمسلمين، واقمع الكفّار والمعاندين. اللهمّ اشفِ مرضى المسلمين، واغفر لموتاهم وارحمهم، وعجّل في فرج إمام الزمان عليه السلام، واجعلنا من المنتظرين الحقيقيّين له.

بالنّبيّ وآلِهِ، وعَجِّلِ اللهمّ في فرجِ مولانا صاحبِ الزّمان

**اللّهُمّ صَلِّ عَلَى محمد وآل محمد**